

القدس في يومها العالمي... الصراع من أجلها صراع بين الحق والباطل... ولا بد للحق أن ينتصر!



عيوننا إليك ترحل كل يوم

إنّها القدس، سمّوها كيفما شئتم، وامنحوها القداسة التي تريدها... قداسةً دينية أو حتى قومية وطنية... فستبقى هي، قدسنا التي نحيا ونكتب لها، ونعاهدها أننا... كل من موقعه... سنقاوم المحرقة المغتصب ونحاربه حتى يرحل عنها وعن كل التراب الفلسطيني.

إنها القدس، قدسنا نحن، لا قدس شتات استدعاهم مؤتمر في «بال»، واشتروا وعداً من «يلفور»، وتواطؤاً من العربان. إنها قدسنا، نحن أهل هذه الأرض وملحها وترباها وسندباها.

إلى أطفال الحجارة وفتيان السكاكين تحية، إلى الأسرى الأحرار الميامين، إلى المقاومين المرابضين في الثغور، إلى الشهداء البواسل، وإلى كل من يعي قدسية القدس، سلام.

لمناسبة يوم القدس العالمي الذي احتفلت به الملايين منذ أيام قليلة، تخصص «البناء» هذه المساحة المتواضعة، مستضيفاً فيها كتاباً وشعراء وإعلاميين، ودوا أن يعبروا عن حبهم للقدس في يومها العالمي.

■ عمر جمعة*

استأثرت مدينة القدس بدلالاتها التاريخية ومكوّناتها الحضارية والإنسانية بالبحر الأكبر من اهتمام الكتاب الفلسطينيين والعرب، حتى غدت من حيث القداسة والمكانة الدينية سمة دالة على ارتباط الكاتب بأرضه وشعبه والذاكرة المتوارثة الحيّة، التي تعدّ أولى القبلتين إحدى تجلياتها وعلاماتها الأبرز.

ولئن كتب الروائيون العرب أعمالاً متجدّدة هذه المدينة وتكشف معانيتها والندس اليهودي الذي أصابها، إلا أن الكتاب الفلسطينيين، خصوصاً من عاش منهم تحت الاحتلال، كانوا أكثر قرباً وهم يرون أخص المدينة المقدسة وشوارعها وأحياءها وحصارها وتهوّد وتسمّى بمسمايات عبرية بغية محو هويتها العربية الإسلامية والمسيحية على حدّ سواء.

لقد أخذت الرواية الفلسطينية لقضية القدس، حتى باتت روحها ومرتكزها وحاملها الأساسي في جملة مقالاتها المختلفة، إذ لم تكف بالتاريخ لهذه المدينة المحتلة أو استعادة الذكريات التي انتهكتها الصهاينة وعصاباتهم، أو التلغني بياضها الأزلي، بل نعتت في حكاياتها وخلقها ترسم معالمها القادمة على أجنحة الحلم بالعودة إليها أحياء أو أمواتاً. وبرزت تجارب كثيرة لروائيين فلسطينيين كتبوا عن القدس، لعل من أهمها ما كتبه محمود شقير في «نهاية ظل آخر للمدينة»، وحسن حميد في «مدينة الله»، ويعيسى بلاطة في «عائد إلى القدس»، وسحر خليفة في «صورة وأيقونة وعهد قديم»، ونبيل خوري في «حارة النصارى»، وإبراهيم الصوص في «بعيداً عن القدس»، وعلاء حليل في «مقدسية أنا»، وديمة السمان في «برج اللقلق» وسواهم.

على أن ما ميز هذه الروايات على اختلاف مراحل كتابتها وإصدارها، أنها تحدثت عن فترات زمنية لمدينة القدس وجسدت المكان والزمان والشخص والعقبا، وصورت الحياة اليومية للمقدسيين وتاريخهم في تلك المدينة العتيقة.

ففي «برج اللقلق»، وهو اسم منطقة في مدينة القدس، مرتفعة جميلة خلابة، تقدم الكاتبة المقدسية ديمة السمان عالماً مليئاً بالذكريات، حيث عاشت في بيت جدّها الموغل في القدم، فتعرض السمان حكايات سكان القدس في برج اللقلق في فترة الاحتلال العثماني للقدس وما تلاها، والمجاعة التي أطلق عليها وقتذاك «سفر برلك» وأصابت بلاد الشام كلها. مؤكدة بالقول: «دافعي للكتابة كان لقربي من أبطال الرواية، فهم عائلتي وأهلي، ففي كل بيت بالقدس قصة إنسانية يصعب على التاريخ ذكرها بينما تجسّد بابهي صورها في الرواية».

فيما اختار الكاتب حسن حميد في روايته «مدينة الله»، أن يجول بنا في أمكنة مدينة القدس وأحيائها وتفصيلاتها الصغيرة من خلال رسائل كتبها الروسي فلاديمير بوندسكي إلى أستاذه ومواظنه جورجي إيفان، ليعرض العذابات التي يتعرّض لها الفلسطينيون على أيدي «البغالة» المحتلين بما يتلونه من كره وحقد وخبث وخوف دائم. ووصل بنا إلى مقولة الغالب الأعم من المدوّنات والروايات الفلسطينية أن مدينة القدس المكان والتاريخ والجغرافيا ستبقى عربية. فهي أبداً مشغولة بفرادتها وأنفسها ونهوضها العربي.

في حين لجأ الأديب محمود شقير في «نهاية ظل آخر للمدينة» إلى لعبة السرد السيري ليروي تاريخ المدينة من الداخل، مشدداً على سيرة المكان في مواجهة ما تعرّضت له المدينة المقدسة من تغيير لمعالمها بدءاً من عام 1967 بإعلان القدس محتلة، مروراً بطرد السكان المقدسيين وهدم منازلهم وتجريف بساتينهم، وصولاً إلى سياسة التهويد «الإسرائيلية» التي تهدد اليوم المدينة برمتها.

وفي «عائد إلى القدس»، يصوّر عيسى بلاطة وهو من مواليد القدس، مرارة المقتني بعد احتلال المدينة وقصّة التشرّد واللجوء، الذي لم يكن ليحول دون حلم العودة إلى مراحب الطفولة الأولى، فيطل الرواية الأستاد فؤاد سرحان، يروي لنا حكاية دراسته في الجامعة الأميركية في

■ رياض طيرد*

تحتل القدس مكانة قلماً احتلتها أو تحتلتها أي مدينة في هذا العالم. ولهذا دلالاته بكل تأكيد، وله أيضاً ظلاله على المشهد التاريخي منذ فجر التاريخ إلى الآن. وهو يحمل الضدين الحرب والسلام في طياته. فعلى رغم من أنها «مدينة الله» في إحدى مسماياتها، ومدينة السلام، والقدس الآتية من القداسة، مع ذلك تكاد حروب كثيرة جرت وما زالت مستمرة من أجل القدس وتحت راية فتحها أو تحريرها.

هل صحيح لأنها زهرة المدائن أم لأنها المدينة التي كانت آخر المدن التي دخلها المسيح قبل أن يسلمه يهوذا إلى الجند ليحمل صليبه ويعبر الجبلجة في درب آلام ما زال إلى الآن هو درب حياة لشعبنا العربي الفلسطيني منذ الإغتصاب ثم الاحتلال الذي ما زال جاثياً على صدور الأمة منذ عقود من دون أن يحركها أو يوجّهها الاتجاه الصحيح مع أن القيصر الروسي بطرس الأكبر قد قال يوماً: سيظل الفرنسيون ينتصرون على الروس حتى يتعلموا منهم كيف ينتصرون عليهم. واليوم، يوجعني سؤال كلما تابعت

ذاكرة ليست للنسيان... القدس في الرواية الفلسطينية

بيروت، وسفره إلى أميركا للتدريس في جامعاتها. وكيف تدعوه واد إلى حفلة عيد ميلادها. لتتعرف من خلال حوارهما على طفولتهما في القدس ودراستهما معاً في بيروت، حيث يقول: «نشأتنا طفلي في حي واحد، فكنا نلعب بالحجارة معاً بنشاط عنيف لا تقلل منه حرارة الشمس الصيفية، فيصنّب عرقنا ويجفّ ريقنا فندخل إلى بيت واد لاهتين، مارين من دهليز المدخل البارد إلى ساحة البيت الداخلية ونتجه إلى بيت السفرة ونغرب بكيلة من الزير الفخاري الموضوع في الزاوية ونشرب ماء نطفى به عطشنا، وهو ماء ليس مثله أي ماء متلج في هذه الأيام».

في حين تحكي البطلة واد عن حزن أهل المدينة وطريقة معيشتهم أيام كانت في القدس منذ كان عمرها ست سنوات، وعن مغادرة منزلها في القطمون عام 1948 بسبب الحرب وإقامتها في البلدة القديمة، ملمحة إلى ما ألم بها المأسى والنزات.

أما الكاتبة سحر خليفة في «صورة وأيقونة وعهد قديم» التي تعدّ من عيون الروايات التي كتبت عن طبيعة سكان القدس، فتختصر في روايتها تاريخ فلسطين والتعايش الأزلي بين المسلمين والمسيحيين. تحكي الرواية قصة العشق المستحيل بين إبراهيم المسلم، ومريم النصرانية لتكتشف أن خليفة أرادت أن تقول إن رمزية القدس ومكانتها وقيادتها تساوي طهر مريم العذراء وتوازيها، يقول إبراهيم: «مريم كانت تحمل أجمل نكرى، أغلى تاريخ، أحلى صورة، كانت في الغربية تحضرني، فأحس بروحي تسحبني لأجواء القدس، وعقود من كرب وقرنفل تحيط بعنقي، وتغلطني، فتحيل القلب إلى عاشق في العشرينات، من ذاك الزمن كان صديقي، بل كان الحب وكنت أنا مثل الدوري، لي أجنحة وعيون من ذهب ومرايا تكتشف العالم من حولي وقباب القدس. القدس الآن قدس أخرى، قدس التاريخ لكن القدس كانت مريم».

إن انتماء إبراهيم إلى عائلة مسلمة، ومريم إلى عائلة مسيحية، انتماء كل مقدسي، لا بل كل فلسطيني، إذ لم تستطع «إسرائيل» أن تفرّق بين قلبين محبوبين بتراب أرض المحبة والسلام «القدس». يقول العاشق المقدسي: «لا أدري متى وكيف أحببت مريم، أو ربما ما بهرتني هو ذلك الجو، وما يعمله من سحر وغموض، أو ربما كانت مريم وما أحاط بها من قصص غريبة هي المسؤولة عما انتاب مخيلتي من أحلام. بتّ عاشقاً من دون تسلسل. أفقت فجأة وإذا بي متيم لا أقوى على التركيز على شيء ما. بتّ ملهوقاً مليئاً بالشوق والأحزان من دون سبب منطقيّ أستطيع فهمه. لم أرها عن قرب، لم أسمعها، لم أحنّتها، بل لم تعرفني على الإطلاق طوال شهور».

في رواية «صورة وأيقونة وعهد قديم» التي يتعمّق فيها الوثيق وذكر أسماء الأماكن المعروفة «الصخرة، الكنيسة، سور القدس، الأقواس، قمة الزيتون، القبة النحاسية»، تعانين سحر خليفة واقع المدينة المقدسة منذ حرب 1967 وحتى بداية الانتفاضة الأولى عام 1987، فنلمس أيّ فجعية يحسها المرء وأيّ عجز يعتريه وهو يرى حلمه يتهاوى مع سقوط مدينة القدس وضياها، وكيف فتقت الغربية روحه إلى شطابا، إذ حين يعود إبراهيم إليها يهذي بالقول: «بتنا شطابا». وهكذا تغيّر حالي وصار إبراهيم غير إبراهيم، وصارت القدس هي غير القدس، وصارت أحلامي هموماً ووحدة وفراغاً والزهايمر وضياغ القدس».

لقد ساهمت الأعمال الروائية المذكورة وغيرها من الروايات الفلسطينية والعربية في التأكيد على مكانة القدس وهويتها العربية. مشيرة إلى أن سياسة الإبعاد والاقتراع التي مارسها الصهاينة ضدّ العرب المقدسيين كان تزيدهم إصراراً على التشبث بتراب هذه المدينة المقدسة التي لا يملك أيّ كان المساومة عليها. ولئن جاهد الروائيون خصوصاً والأدباء عموماً في شرح معانيتها والظلم الذي لحق بأبنائها، فإن الشعب العربي مسلميه ومسيحييه يدرك أن القدس عاتدة عائلة مهما استلزم ذلك من تضحيات، فهي ذاكرة غير قابلة للطي أو التفريط أو النسيان!

* كاتب فلسطيني

لحظة بلحظة ما يجري في وطننا الكبير وفي بلدنا الحبيب سورية مفاده لو أن هذه الدماء الزكية الطاهرة وهذه الموارد الكبيرة الضخمة اتجهت لتحقيق السلام والعدل والشامل في المنطقة، هل كنا بحاجة إلى يوم في السنة أو يومين نتذكر واجبتنا خلالهما تجاه القدس؟ وهل كنا بحاجة إلى وجود لجنة لإنقاذ القدس غير موجودة أو فاعلة ومثلها تلك التي ما زالت قائمة لإنقاذ المسجد الأقصى منذ سبعة وأربعين قهراً، إذ يناشد الأقصى العرب والمسلمين لإنقاذه فيجيب إذ يراهم يتهافون على جبهة أعدائهم ودائرة تلك الجبهة أي «إسرائيل» يخطبون ودّ نتيهاو، ويتآمرون معه على من وما تبقى من سورية والعراق ومصر واليمن وليبيا، هذه الدول التي شكلت ذات صقوة قومية ملماً عربياً لاسترجاع القدس.

هذه اللجنة لم تغلح يوماً بإقناعنا بأنها لجنة لشيء غير أنها لجنة لاستمرار ضياع القدس وتعرضها لمزيد من عمليات التهويد، وربما أكثر من ذلك الذي نراه الآن ونخشى المزيد منه في ظل وجود ثمانمئة ألف مستوطن في الضفة الغربية ما يشكل

* كاتب وشاعر سوري

يوم القدس... رسالة إنسانية

■ سلوى عباس*

من المحبة كلمة السرّ الأزلية تنطلق رسالة يوم القدس. ومن وحي هذا اليوم تفتتح سنبلتة من حنطة الأمل وتتوضح رؤية الخلق المدرك لحتمية الانتصار، عبر مسيرة يتدفق من خلالها لاوعي تتخلله الصخوات، تاركا لنفسه حرية الانسياب مع مطر المفردات فوق أرضفة الأناشيد، يعزفها أبناء فلسطين والعالمين العربي والإسلامي، الذين ستبقى ثورتهم صدى لصوت فلسطين الحرة والأبية بهم. كرمز لأبنائها الذين يستحقون الانتماء إليها. فلسطين التي علقت على سحابات الحزن معاطف أبنائها العابقة أرواحهم برائحة الأقوان المندى بدمائهم التي أبت أن تخون الوطن، فرحلوا وهم على يقين أن حلمهم سيذهب ثورة في وجدان أجيال يتوارثون القضية والإيمان بها حتى يحققوا النصر، فلسطين التي حاول الظالميون وداعوهم إشعال المنطقة بالحروب والاقتراعات، ليعيدوها عن محور المقاومة، لكنهم أخطأوا الهدف، فهي باقية في الوجدان عبر الأجيال لحمل لوائها والدفاع عنها، مهيئين آمال الصهاينة بأن الكبار يموتون والصغار ينسون فتنتهي القضية، وقد أثبت التاريخ

كذب ما فبركوا وما سطرّوا من أضاليل، وظل أبناؤها يحملون رايتها بيرقاً موسوماً بالحلم، لتنبئ بطولاتهم شجرة من عبق الحياة.

بالأمس، وعلى خطى المقاومين الذين اجتمعوا في مسيرة حاشدة أمام الجامع الأموي في دمشق، إحياء ليوم القدس العالمي وتعبيراً عن اعتزازهم بهذا اليوم، تالقت الاغاني وأقيمت أعراس الوطن، فقد باكر الناس في دمشق (سوريون وفلسطينيون) الوقت ليكونوا أمام وعدهم الحق الذي يسطرون عبره كرامتهم وكرامة وطنهم. احتشدوا يعبرون عن حبهم لبلدهم، وتمسكهم ببعضيتهم، وهم يطوّقون عنق اللحم لينسجوا لوطنهم وشاحاً من كبرياء وشموخ.

فلسطين الغالية. منك ومعك نتعلم كيف نصنع الضماد لجراحنا، وفي لحظات وهنا نرمي في حضنك تبلسمين الأمان وتروين ظلماتنا إلى حروف اسمك نجعلها في قارورة حلم ترشفه قطرة قطرة حتى يطل الصباح. نعاهدك في هذا اليوم أن يبقى قدسك الشريف قبلتنا، وقبلة كل مقاوم عرف معنى الانتماء الوطني والقومي، في هذا اليوم يؤكد أبناء العالمين العربي والإسلامي تمسكهم بقضيتهم ويجددون العهد أن يكونوا أوفياء

أغدقت علينا المفحّخة وريقاتها إذ شمرتنا على غير العادة متمازجين بالدماء دخلت عليّ بنتٌ أحي وأنا اقرا كانت ترددي خلخالاً شديد الصوت هممت بالصراخ بها اجلسي والدي نائم! وللحظة ماع قلبي ارتحف تذكرتُ أنه لم يعد موجوداً إلا في ذاكرتنا ذهبت زوجتي في أول يوم لها بالتدريس إلى مدرسة نائية جداً مكونة من كرفانات تلاميذها تتقافزُ عيونهم بالكبت كانت مرتدية بنظلون جبينز ومتحزرة ما أثار حفيفتي في اليوم الثاني جاءتني طلبية جبة كم يا ترى كانت الغريزة تمدّ أذرعها من عيون التلاميذ؟

بعد مضيّ مئة سنة على موتي فتحوا قبوري لم يجدوا شيئاً سوى كومة أتربة وحروف تبض بجبك

ب
ي!
ركبت جسدي رصاصات باردة أخشى أنها صنعت لأجل السلام!

* شاعر من العراق

Abdelhalim Hammoud

بارود أخضر مزرق

■ أحمد ضياء*

أغدقت علينا المفحّخة وريقاتها إذ شمرتنا على غير العادة متمازجين بالدماء دخلت عليّ بنتٌ أحي وأنا اقرا كانت ترددي خلخالاً شديد الصوت هممت بالصراخ بها اجلسي والدي نائم! وللحظة ماع قلبي ارتحف تذكرتُ أنه لم يعد موجوداً إلا في ذاكرتنا ذهبت زوجتي في أول يوم لها بالتدريس إلى مدرسة نائية جداً مكونة من كرفانات تلاميذها تتقافزُ عيونهم بالكبت كانت مرتدية بنظلون جبينز ومتحزرة ما أثار حفيفتي في اليوم الثاني جاءتني طلبية جبة كم يا ترى كانت الغريزة تمدّ أذرعها من عيون التلاميذ؟

بعد مضيّ مئة سنة على موتي فتحوا قبوري لم يجدوا شيئاً سوى كومة أتربة وحروف تبض بجبك

ب
ي!
ركبت جسدي رصاصات باردة أخشى أنها صنعت لأجل السلام!

* شاعر من العراق

مفقود

فر العامل البنغلادشي JALAL MIAH RAZU من مركز عمله في رحلة شركة UNIPLAST للمراجعة 03/803081